مدارج السالكين

الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

www.markazalsalam.com
t.me/markazalsalam
+97150 8008875
info@markazalsalam.com
t.me/dropletsofdew
Al Salam Islamic Center

بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة إلا بالله

مدارج السالكين

04 فبرايـــــر 2023 | 12 شعبان 1444 | الدرس # 27

المقدمـــة

- ذكرنا ســـابقا أننا نســـتغل الليل وعدم الوضـــوح لنتذكر والنهار للشـــكر واليوم ســـنكمل مع ســـورة الليل والتي تبين لنا عن متضـــادات نعيش معها ولكن بها نحقق التناسق والتكامل.

سورة الليل 3 – 1

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (2)
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (3)

- لأننا لن نكمل بوجود فقط النهار او فقط الليل، او فقط ذكر أو فقط أنثى في حياتنا إنما لا بد من الليل والنهار والذكر والأنثى، أي الاختلاف وهذا لا ليكون كل منهما ندا للآخر أو يفرض كُلٌّ سيطرته على الآخر أو الفردانية، إنما لنتكامل، لذلك سورة الليل لها محورين:

1. "كل مخلوق ميسر لما خلق له".

2. الإيمان بالقضاء والقدر

- نحن في فطرتنا نحب أن نستخدم قدراتنا ونعطي، ونعمل. وأحيانا نبدأ بأمور، ولكن لا نستطيع أن نستمر فيها لأننا لم نخلق لها.
- ولكن ما نحبه وان كان ليلا او لا يوجد وقت سنقوم به ولن نتعب منه.
- لذلك الليل والنهار في حياتنا لنكتشف أنفسنا حتى في أقصى الظروف أي كل مخلوق ميسر لما خلق له سواء في الدين أو الدنيا.

- فســـورة الليـل تبين الانفعـالات اللا ارادية التي تبلورك وتبين من أنت، لذلك يذكر بعد ذلك {إِنَّ سَـــعْيَكُمْ لَشَـــتَّىٰ}، أي احتمال اعمل ما أحبه، وكذلك احتمال اتصــرف تصــرف لا يخرج مني الا ليلا، كُلٌّ على حســـب ليخرج منا ما يجعلنا نحقق التكامل والتناسق.
- فالليل والنهار والذكر والأنثى ليكون التكامل، ثم الكثير من الأمور التي نستطيع أن نعملها في الليل ليست كالنهار، والذكر ليس كالأنثى.
- وظائفهم مختلفة، ولكن يكملون بعضهم البعض.

- {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ}، العبادات التي في الليل مختلفة عن النهار، صيام في النهار، ولا صيام في الليل، والسعي في الليل ليس كالنهار.
- {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ}، سورة الليل بدأ بالعطاء الذي هو من الخارج، ثم التقوى، ثم ذكر وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ.
- {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ}، أي أحيانا لما يكون ليل في حياتنا تخرج منا تصرفات أو أقوال لا نتوقعها ولكن كل هذا لنكتشف انفسنا.

- أي في وقت الظلام والشدة وعدم الوضوح لا بد من العطاء لذلك سورة الليل بداية أعطى وهو خارجي.
- ليس شرطا أن يكون العطاء كبيرا أو مالا، إنما حتى المشاعر وما بأنفسنا.
- مثال على ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما كان في الغار خائفا النبي (صلى الله عليه وسلم) يطمئنه:

سورة التوبة 40
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

- لو لم يظهر خوفه ما كان سيرى التجاوب من النبي (صلى الله عليه سلم) ليطمئنه.
- موقف آخر:

مواقف أبو بكر الصديق

بينما رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالسٌ ومعه أصحابُه، وقع رجلٌ بأبي بكرٍ فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانيةَ، فصمت عنه أبو بكرٍ، ثم آذاه الثالثةَ فانتصر منه أبو بكر، فقام رسولُ اللهِ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكرٍ: أوجَدتَ عليَّ يا رسولَ اللهِ ! فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: نزل ملَكٌ من السماء يكذِّبه بما قال لك، فلما انتصرتَ

- هنا أبوبكر الصديق أعطى لما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم): "أوجَدتَ عليَّ يا رسولَ اللهِ"،

لذلك النبي (صـلى الله عليه وسـلم) ربّاه بأن قال "نزل ملَكٌ من السـماء يكذِّبه بما قال لك، فلما انتصـرتَ وقع الشـيطانُ، فلم أكن لأجلس، إذ وقع الشيطانُ".

- أي التربية لها طرفان ولا تكون من طرف واحد.
- فأبو بكر الصـديق (رضـي الله عنه) هنا اتقى ولم يتبع هواه بعـدمـا أخبره النبي (صـلى الله عليـه وسلم).
- ونقيس عليـه ألا نجعـل أحـد يقيم في ظلامـه إنمـا نأخذه للنهار بأن نوضح له الأمر.

- فإن تقبل واتقى {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ}، أي لديه كثير من حسن الظن، وأن القادم أجمل.
- والصدق مطابقة الداخل مع الخارج، والحسنى، الإيمان بما أخبر الله ورسوله، والإيمان بالجنة، وجزاء الله. النتيجة، {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ}، فنجعل كل خير ميسرا له ويفتح له أبواب الخير، وميسرًا له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.
- وهناك من لم يعطي أي {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ}، وهنا بخل بمشاعره، وبخل بنصيحته، وبخل بأن

جعل غيره يقيم في ليله، استغنى عن نصيحته مثلا بحجة أن لا شأن له، فهذا {وكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ}، عكس التقوى لا يريد ان يتزكى.

- ولديه سوء الظن يخاف ان تكشف عيوبه، فيفضل أن يبخل ولا يعطي بحجة أن لا دخل له بغيره.
- {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ}، سييسر له كل عسير ولن يحقق حسن الظن.
- {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ}، فسورة الليل تبين أن المؤمن لن يستطيع ان يطور نفسه ويتزكى اذا بخل أي انسحب واستغنى.

- ثم يذكر، {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ}، الناتج عند الله وكيف نبدأ كذلك عند الله، فلا نخاف مع أن الليل قبل النهار والذكر قبل الانثى ولكن في التطبيق قدم الآخرة على الأولى أي النتائج.
- {فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى}، وصفه بالأشقى نتيجة {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ}.
- {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}، الآية جاءت في أبوبكر الصديق وكأنه يعلمنا كيف نحقق الصديقية، ونكون من

الصـــديقين، أي في الليل يظهر الصـــديقون دليل عليه مواقف أبوبكر الصديق.

- كما ذكرنا في الحديث الســـابق، وكذلك لما ســـأل النبي (صلى الله عليه وسلم):

مواقف أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)

يا رسولَ اللَّهِ علِّمني دعاءً أَدعو بِهِ في صلاتي. قالَ: قُل: اللَّهمَّ إنِّي ظلَمتُ نَفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ فاغفِر لي مغفرةً من عندِكَ وارحَمني إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ.[1]

- وهنا اعطي لما ســـأله الدعاء، واتقى لما تقبل الدعاء لأنه تخطى كل مراحل عجب وكبر وحظ

[1] صحيح الترمذي 3531.

نفس فلم يأخذه على محمل شخصي، ولكنه تقبل فارتقى.

- {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}، أي يتجنب الأمور من البداية، {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ}، دائما له اليد العليا من البداية.
- عمله لا يكون رد جميل إنما سباق للجميل وهو صاحبه وهذا معنى التوكل وتحقق لأن سبقه تربية في الليل والنهار، واعطي في الاوقات الصعبة

فتكون هذه سجيته، وعمل الخير وابتغاء وجه ربه الأعلى يكون جزء من حياته.

- لان كل مخلوق ميسر لما خلق له لأنه مر بليل من قبلها فأعطى واتقى.
- أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) استفاد من المواقف من البداية فصارت بعد ذلك سجيته، أي يجب أن نحقق "أعطي واتقي" في موقف واحد على الاقل لتكون بعد ذلك سجيتنا، فننتقل للمواقف الأخرى بسهولة.

- هو سمي الصديق من موقف واحد، فيسر الله له لتكون سجيته عمل الخير.
- نرى من في الظلام والمشاكل يبتسمون وهذا لأنهم مروا بمواقف ليل ونهار وذكر وأنثي وتعدوها فصارت طبيعتهم. وليس شرطا ان يكون دائما.
- مثل السنة نجاهد لعملها ثم تصير هوانا.
- المواقف الصعبة هي التي تظهر مواهبنا فإن اتقينا وصدقنا بالحسنى سيستعمل الله موهبتنا هذه لخير وتكون سجيتنا.

- لذلك بعض العلماء ذكروا أن سـورة الليل محورها الايمان بالقضـاء والقدر لان كل مخلوق ميسـر لما خلق له، كُلٌّ الله قدر له ما الذي يصلح له وسيبدع فيه، وهذا يكتشـــفه بنفســـه لما يمر بليل ويتبعه نهار ليراه.
- ليس أنـه يعيش في ليـل ويقيم فيـه ولا يعطي أو يقول، انما يجب أن يعطي ويقول.
- ومثال عليه أبوبكر الصـــديق لما جاءه رجال من المشـــركين فقالوا: هل لك إلى صـــاحبك يزعم أنه

أُســـري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن قال ذلك لقد صدق

- ولم يقل لماذا اخبرهم قبل ان يخبرني مثلا، كذلك في حادثه الإفك الذي اتهمت به عائشـــة ابنته بعرضها، فهنا ابنته والنبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكن لم يعقب مع انها ابنته وفي الموقف الثاني غضـــب من مســـطح وعطاءه هنا أن أوقف عنه النفقة، لأن الموقف كان مثل الليل ولم يعلم ماذا يفعل، فنزلت الآيات:

سورة النور 22

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

- فهو إذا لم يوقف النفقة لن يعرف أن العفو والصفح أعلى مرتبة، أي لن يعلم ما هو الذي سيحسن فيه.
- ونعتقد أن بامتناعه عن النفقة ومقاطعته لمسطح هو خسر الاختبار، هو ليس كذلك إنما لما قطع هنا كذلك أعطى ما في حدود استطاعته ومقدرته، لأننا نعتقد أن أعطى فقط شيء يتعلق

بـالخير، ولكن هنـا أعطى بمعنى مـا في حـدود مقدرته واســتطاعته، لأنه هنا يريد أن يصــدق بنفقته.

- فكل ما ســبق يشــرح لنا الآيات، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ}، فالليل والنهار بهما نحقق التكامل والتناسـق، ونكتشـف أنفسـنا وما العمل الذي نصلح له.
- فنرى الليل والنهار يكملون بعض، إذا طال الليل قصر النهار، والعكس كذلك.

- لذلك أبوبكر حقق درجة الصـــديقية بســـبب هذه المواقف الصعبة، لذلك شخصيته اثناء عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) تختلف عن شخصيته بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- أثناء عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان دائما يصحح نفسه ويتوب.
- مما رواه أســـلَمُ مَولى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وفيه: "أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ دَخَلَ على أبي بَكرٍ الصِّـــدِّيقِ وهو يَجبِذُ لِســانَه"، يُمسِــكُ لِســانَه ويَشُــدُّه، "فقالَ له عُمَرُ: مَهْ"، تَوَقَّفْ؛ يَكفي شَــدًّا لِلِســانِكَ، "غَفَرَ اللهُ

لك"، وهذا دُعاءٌ له؛ اســتِرحامًا لِحالِه، أو إخبارًا عَمَّا سَــمِعَ في حَقِّه، "فقالَ أبو بَكرٍ: إنَّ هذا"، يَقصِــدُ لِسانَه، "أورَدَني المَوارِدَ"، أدخَلَني المَهالِكَ،

- هذا ما جعله صــديقا عكس من يدس ولا يعطي فلا تظهر له حقيقة نفسه.
- الصــديق دائما أعطى وتقبل الناتج لأنه إن أخفى وبخل لن تظهر له حقيقة نفسه.
- لذلك لما يذكر كل ميسـر لما خلق له أي ما قضـاه الله وقدره له أي القضاء والقدر، أي ما خلقنا نحن له، مثلا هناك من خلق للكتابة، ومن خلق للدعوة.

- وكل هذا يظهر في الليل ولكن بشـــرط العطاء وألا نخاف ونتردد، ثم تأتي التقوى وصدق بالحسنى.
- {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ}، ثم تأتي التزكية، {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ}، لأن الســـبق للخيرات صـــارت في ســـجيته، وجزء من حياته {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ}، تربيته عالية {وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ}، لأنه رضي من البداية.
- دائما من يكون في الليل لا يحب النهار ويؤثر فقط نفســـه، وهناك من هو في النهار ولا يريد إخبار من بـالليـل، ولكن هنـا يبين لنـا اننـا يجـب أن نتربى

ونتغلب على الليل وايثار النفس وعدم العطاء، وكذلك من بالنهار.

- {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ}، أي لا أحد له فضل عليه، لذلك صار متوكل صديق لأنه يعامل الله بدون حساب، ويفصح عما بداخله ليتقبل نفسه ويزكيها كما فعل الصحابة لما نزلت الآية:

سورة البقرة 284

لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنهم في ليل، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جثوا على الركب، وقالوا : يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير"، لما أقر بها القوم

وذلـت بهـا ألســـنتهم، أنزل الله في أثرهـا: (آمن الرسول).

- صارت طبيعتهم الاستسلام.
- ونقيس عليه "كل مخلوق ميسر لما خلق له" فيما نحبه من أعمال او في العبودية كل له طريقة في العبودية لأن الجنة لها ثمان أبواب كل له باب أو أبواب من صيام، صدقة ولكن هناك باب قليل من يدخله وهو باب الذل والافتقار إلى الله.
- ولكن فتحه الله عليهم وهذا يظهر فقط في الاوقات الصعبة أي في الليل.

- فمدارج الســـالكين في {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ}، بمعنى لا بد من السـعي الدؤوب للقلب واللسـان والجوارح، ولن نسـعى الا لما نحن نحبه وخلقنا له، كمن يخبرك وجدت نفسي في هذا العمل.
- فكل ميسـر لما خلق له ولكنه يتحقق في الصـحبة التي تكملنا مثل الليل والنهار والذكر والأنثى.
- فبالتناسق التكامل ييسر للإنسان ما خلق له.
- مثلا القرآن والسنة، ما لو يوضح في القرآن نجده في السـنة، هنا أشـياء يخبرنا الله بها مباشـرة واشـياء يخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) يخبرنا بها.

- مثلا في الزواج، مع الأبناء وفي العمل لا بد من وجود العكس سواء مواقف مثل ليل ونهار، أو بشر مثل ذكر وانثى، لنكتشف أنفسنا وما الذي نصلح له فنقوم به على السجية، وهذا يتحقق لما يكون هناك ليل، ويأتي بعده النهار فيجب أن اتقبل هذا النهار ليتحقق التكامل.
- فالسورة فيها الكثير من الدروس:
  1. كل مخلوق ميسر لما خلق له.
  2. {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ} فلا نحاسب أحدا كل حسب مقدرته واستطاعته.

3. حسن الظن

4. ونصل بها لدرجه الصديقية والأتقى.

- لما نعطي نستطيع ان نتقي ونعمل للّه ثم نصدق بالحسنى فيجعلنا في نشاط وسعي دؤوب حتى في وقت الليل أي يكون لا ارادي.
- وانتهينا من مدارج السالكين بخصوص القلب وسنتحدث عن اللسان.

مدارج السالكين – عبوديات اللسان

- اللسان في اللغة: جسم لحمي مستطيل متحرك يكون في الفم ويصلح للتذوق والبلع والنطق.

- وممكن يستخدم للخير او الشر.

خطورة اللسان

وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم.[2]

- من يرتقي لدرجة عليا في الجنة أو درجة دنيا بسبب لسانه، واللسان مغرفة القلب.
- لا بد من المرور بموقف صعب فلا نحسن فيه ثم نتدارك الامر ونتقي ونصدق بالحسنى ثم سييسر الله لنا احسن استخدام للسان، ولكن ان كتمنا

[2] صحيح الترمذي 2616.

وبخلنا واستغنينا سنيسره للعسرى وسنسيئ القول.

عبوديات اللسان الخمس:

- **الواجب**ات: مثل نطق الشهادتان، قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة.
- **المستحبات:** كذكر الله، وتلاوة القرآن.
- **المحرمات:** نطق ما يبغض الله من الغيبة والنميمة،

- **المكروهات:** التكلم بما تركه خير من الكلام به مع عدم العقوبة عليه، مثل اللغو.
- **المباحات:** لغو لا يضرني أو يضر غيري.
- ولكل الجوارح هذه التقسيمات الخمس.

اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا. آمين

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المصادر

- مدارج السالكين - ابن القيّم

مصادر اضافية

للاستماع للدرس – للنساء فقط

https://vimeopro.com/markazalsalam/path-of-the-traveller-ar

لطلب الاستماع للدرس:

https://markazalsalam.com/recordings-notes

الدروس السابقة في قناة تلغرام- هذه القناة لنساء والرجال

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة الإنجليزية

https://t.me/markazalsalampublicationsENG

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة العربية

https://t.me/markazalsalampublicationsAR

مدونات الدروس للأطفال

https://t.me/dropletsofdew

للمبتدئين في الإسلام

https://t.me/truthfulentry